تسخرُ من كل اللغات، واللَّهجات»[154].

ويتبنّى «باختين» هنا رأي «فينوقرادوف» القائل إن الرواية هي فن ذو تكوين هجين، وهو لا يستخدم هذا التعبير بمعناه القدحي، ولكنه يقصدُ من ورائه فقط وصف حقيقة الرواية، بل إنه يعتبر هذه الصفة إحدى المميزات التي تُحَدِّد شاعرية الرواية. ذلك أن الرواية لا يمكنها أن توجد إلا في خِضَمِّ تعددية الأصوات، وتعددية اللغات، **وأسلوب الروائي بسبب هذه التعددية يفقد صفته التفردية ولا يصبح إطلاقاً دالاً على صاحبه**، على عكس الشعر الذي يُشكِّلُ فيه الأسلوب الفردي دعامة أساسية. ويمكن القول إن أسلوب الرواية ليس هو لغتها الأولية أو هو إحدى اللغات التي تتكون منها (بما في ذلك حتى الصوت المباشر للكاتب الذي قد يتدخل به أحياناً)، إن هذا الأسلوب مُتَجَسِّدٌ على الأصح في التركيب العام الذي يحوي مجموع اللغات المتجاورة في الرواية، وبتعبير آخر إن أسلوب الرواية وفق تصور باختين هو بناؤها، وعلاقاتها الداخلية، وحواريتها.

**ويترتب عن هذه الفكرة قضايا منهجية شديدة الأهمية منها مثلاً أن الاعتماد التّام على تحليل لغة الرواية (انطلاقاً من أنها لغة معبرة عن الكاتب)، سواء كان هذا التحليل قائماً على البلاغة القديمة أو على اللسانيات الحديثة، قد لا تكون له قيمة كبيرة في فهم عبقرية المبدع أو حتى في فهم الرواية ذاتها، لأن التحليل ينبغي أن ينطلق من «اللغة الخاصة» التي تتحدث بها الرواية، وهي لغة الأحداث، والعلاقات والبناءات والتقابلات والحوار. وهذه اللغة ليس للبلاغة القديمة ما تقوله عنها، ولا للّسانيات الحديثة (السوسورية خاصة) أيضاً ما تقوله عنها، لأنها ميدان حديث الاكتشاف أو على الأصح إن الوعي به لم يتكون إلا حديثاً.** ويتجلى إحساس «باختين» نفسه بهذا الاكتشاف من خلال قوله:

«إن اللغة داخل الرواية لا يقتصر دورها على التشخيص، ولكنها تتحول هي نفسها إلى مادة التشخيص ذاتها»[155].

و«باختين» نفسه يوضح معنى هذه الفقرة بطريقة أقرب إلى الإدراك في موضع آخر عندما يقول:

«إن الوحدات الأسلوبية المتغايرة تَتَّحِدُ عند دخولها الرواية، وتُكَوِّنُ فيها نظاماً أدبياً متناسقاً، كما تخضع للوحدة الأسلوبية العليا لمجموع العمل، هذه الوحدة التي لا يمكن أن نطابقها مع أيٍّ من الوحدات التابعة لها»[156].

---

(154) M. Bakhtine: **Esthétique et théorie du roman.** P. 96.

(155) استشهد بهذه الفقرة تزفيتان تودوروف في كتابه:
**Mikhail Bakhtine Le Principe dialogique.** Seuil, Paris, 1981. P. 103.

(156) **M. Bakhtine: Esthétique et théorie du roman.** P. 88.

. Mikhail Bakhtine